ظاهرة الإعراب في اللغة العربية

The phenomenon of syntax in the Arabic language

م ـ د ـ رباح اسماعيل ساير الراشدي

Rabah Ismail Sayer

مجلة البحوث والدارسات الإسلامية المحكمة- العدد 70

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

الملخص:

إن الإعراب ليس ظاهرة عبقرية في اللسان العربي فحسب، ولا هو أصل سامٍ فقط، بل هو ضرورة حتمية لابُدَّ أن تتمتع بها كل لغة ليصحّ التخاطب بها، فهو فصل يفصل الأصوات ذا المعنى منها عن المهمل، فإظهار المعنى المراد من كل لغة للتخاطب شيء لا بدّ منه ليصح تسميتها لغة تخاطب. أما القول : بأن العربية انفردت بظاهرة الإعراب دون سائر اللغات، فهذه مسألة مهمة وعريضة تحتاج في إثباتها إلى أدلة في الإثبات والإعدام، وهي مسألة تحتاج لاستقراء تام، وهو عزيز، ثمّ صار القول بأن العربية كانت خالية من الإعراب بمعنى أنها كانت تُنطق فيها الألفاظ اعتباطاً دون قواعد وأسس تضبطها، قول لا يَسْوَى حتى سماعه، ناهيك عن إبطاله ومناظرته. وهذا ما أوضحته في سطور هذه الورقات.فكان اختيار هذا الموضوع لبيان الاختلاف بين النحاة القدامى والمحدثين في هذه الظاهرة وبيان أن الاعراب في اللغة سمة ملازمة للغة وبها يتضح المقصود ، والا لاختلطت المفاهيم وغاب المعنى ولاصبحنا لانميز بين الفاعل والمفعول الا في ما جاءت به القرائن المعنوية ، فذكرت المنقول وعقبته بالمعقول لاثبات ذلك وللرد على من أنكر هذه الظاهرة. وبالله التوفيق.

Summary

syntax is not only a genius phenomenon in the Arabic language, nor is it a sublime origin only. Rather, it is an inevitable necessity that every language must be included in order for it to be properly communicated. It is correct to call it a language of communication. As for the saying that Arabic is unique to the phenomenon of syntax without the rest of the languages, this is an important and broad issue that needs to be proved by evidence in proof and nothingness. Without rules and foundations to control it, that saying is not worth even listening, not to mention invalidating it and debating it. This is what I explained in these papers. The choice of this topic was to show the difference between the ancient grammarians and the modernists in this phenomenon and to show that the syntax in the language is an inherent feature of the language by which the meaning becomes clear. The concepts would have been mixed up and the meaning would be lost, and we

would not be able to distinguish between the subject and the object except in what was brought up by the intangible presumptions.

مجلة البحوث والدارسات الإسلامية المحكمة- العدد 70

:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الإسلام ظاهراً على سائر الشرائع والاديان، وأنزل القرآن معرباً عن مراده للتبيان والفرقان، والصلاة والسلام على خير من أعرب عن حق بلسان ، محمدٍ وعلى الآل والاصحاب والتابعين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ من نعم الله على الإنسان أن جعله مفكراً، بمعنى: أنَّهُ يفهم المقاصد ويستطيع التعبير عن المشاعر، ومن لطفه تعالى ان جعله ناطقاً، فيستطيع بواسطة النطق ان يعبر عن مراده، فمن هنا وجدت ضرورة اللغة ، ولكن تبقى هذه اللغة قاصرة ما لم تحتوِ على علامات ودلالات عن طريقها يتضح المعنى المراد من مفاهيمها، حتى لو كانت هذه اللغة غنية، كالعربية، بكل وسائل التعبير، ومجالات المناورة في الألفاظ، فإن من براعة العربية استطاعتها التعبير عن أدق التفاصيل في الأقوال والأفعال، بل حتى المشاعر في كثير من الأحيان.

ولأجل كل هذه المسائل علمت حتمية الإعراب لكل لغة حية، بل العربيةُ هي مضمار تنافس فرسان الشعر، ومراح أرواح ركائب النثر، فبإجادتها تعرف قيمة الرجل، وبمراعاة أحوالها تمتاز البلاغة من الخطل، فكان موضوع الاعراب بين الانكار والاقرار قدامى ومحدثين موضوع هذه الورقات التي قسمت البحث فيها إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فالمبحث الأول في معنى الإعراب لغة واصطلاحاً، وأقسام الاعراب، وأنواعه وقد عقبت التعريف الاصطلاحي بملاحظة خاصة، ثم ذكرت اقسام الإعراب وموضع كل قسم ، وأنواع الإعراب وحكم الكلمة المعربة قبل دخولها التركيب، ثم بيّنت علامات الإعراب لكل نوع من الأنواع، وأما المبحث الثاني فقد تكلمت فيه عن مذاهب النافين للإعراب والمثبتين، وأدلة كل مذهب منها، وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها في البحث، هذا والله أسال التوفيق والسداد ونفع طلبة العلم بهذه المادة العلمية ...

المبحث الأول: الإعراب ، واقسامه ، وعلاماته :

المطلب الاول : حد الإعراب :

أولا: الإعراب لغة : مصدر أعرب، أي: أبان، " قَالَ الفرّاء : إِنَّمَا هُوَ يُعرِّب، بِالتَّشْدِيدِ يُقَال: عرَّبت عَن الْقَوْم إِذا تَكَلَّمت عَنْهُم واحتججت لَهُم. قلتُ : الْإِعْرَاب والتعريب مَعْنَاهُمَا وَاحِد، وَهُوَ الْإِبَانَة. يُقَال: أعرب عَنهُ لسانُه وعَرَّب، أَي: أبان وأفصح. وَيُقَال: أعرِبْ عَمَّا فِي ضميرك ،أَي :أبِنْ. وَمن هَذَا يُقَال للرجل إِذا أفْصح فِي الْكَلَام: قد أَعْرب"١ ، أو: من عَرِبَ ، بمعنى فسد ،كما جاء في غريب الحديث لابن الجوزي ٢: "جَاء رجل إِلَى رَسُول الله فَقَالَ إِن أخي عرب بَطْنه، أَي: فسد"... وأعرب بالهمزة حينئذ للإزالة ، أي : أزلت عَرَب الشيء، بمعنى أزلت فساده، وقد تأتي أعرب، لمعان كثيرة أخرى، كالتحسين، والتغيير، والتكلم بالعربية، وإعطاء العربون، أو التكلم بالفحش أو امتلاك الخيل العراب، أو عدم اللحن في الكلام أو التحبب، وغيرها من المعاني الكثيرة، قال أبو النجا(٣) : " المناسب منها هنا الإبانة والتغيير؛ لظهور نقله في الاصطلاح عنهما، لأن الكلمة إذا أعربت ظهر معناها وبأن وتغيرت عن حالة الوقف"، كما في القاموس(٤) والكليات(٥).

ثانياً : الإعراب اصطلاحاً : اختلف العلماء في الإعراب، وعلى هذا الخلاف اختُلِفَ تعريفه:

١– أنّه لفظي، واختاره ابن مالك ونسبه للمحققين، وعرفه في التسهيل(٦): "ما جيء به لبيان مقتضي العامل من حركة، أو حرف، أو سكون، أو حذف" ، وقال ابن هشام(٧):" الإعراب أثرٌ ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة، أو ما نزل منزلته"... والمقصود بالكلمة الاسم المتمكن والفعل المضارع المعرب.

٢– أنّه معنوي، والحركات الاعرابية دلائل عليه، واختاره الاكثرون، وعرفوه بأنه : تغيير أواخر الكلم أو ما نزل منزلتها لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً، ونقله عن الأعلم

---

١) تهذيب اللغة : مادة (عرب) :٢/ ٢١٩ ، واللسان : مادة (عرب):١ /٥٨٨

٢ ـ غريب الحديث لابن الجوزي : مادة (عرب) :٢/٧٨ ، و النهاية في غريب الحديث والأثر : مادة (عرب):٣/٢١٠

(٣) حاشية أبي النجا على شرح خالد الأزهري للآجرومية : ١٨.

(٤) ينظر :القاموس المحيط باب (الباء فصل العين):١/١١٣

(٥) ينظر : الكليات لأبي البقاء الكفوي : ١٤٣.

(٦) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٧.

(٧) أوضح المسالك : ١ | ٢٨، وشرح قطر الندى : ٥٩، وشذور الذهب : ٥٨.

وسيبويه، والأشموني في شرح الألفية(١)، فخلاصة القول: إن أصحاب المذهب الأول عدّوا الحركات هي الإعراب، أما أصحاب المذهب الثاني فقد عدّوا: الإعراب شيئاً معنوياً والحركات دالة عليه، والفرق بين المذهبين على القول بهما يكون بالمثال، قال العشماوي(٢): فإذا قلت: جاءَ زيدٌ، تقول في إعرابه على القول بأنه لفظي: جاءَ: فعل ماضٍ، وزيدٌ: فاعل مرفوع ورفعه ضمة ظاهرة في آخره، فالضمة هي الإعراب نفسه، كالفتحة والكسرة، وعلى القول بأنّهُ معنوي تقول في إعرابه : زيدٌ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه.... إلى آخره، فتكون الضمة علامة على الإعراب، كالفتحة والكسرة. اهـ

قال الصبان(٣) : قوله : أي : أبان، " هذا أنسب بالمعنى الاصطلاحي على أن الإعراب لفظي، كما هو الصحيح، ولهذا قدّم معنى الإبانة، والأنسب به على أنّه معنوي التغييرُ.". قلت : لا مفرّ من اعتبار المذهب الثاني، لأسباب :

١– للزوم الدور القبلي، وذلك أنَّ المتكلم ينوي المعنى المراد بكلامه قبل أن يذكره، فالكلام موضوع معناه قبل ذكره، والحركة تأتي بعد ذكر الكلام، فتوقف المعنى المراد على الحركة يلزم منه ما ذكر، وهو الدور القبلي، وهو ممتنع.

٢– للزوم خلو الكلام من المعنى فيما لو خلا الكلام من علامات الإعراب التي توضّح المعنى المراد من الكلام.

٣– الحركات محدثة من قبل علماء الرسم، إذ كان ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو هو أول من نقط المصحف، ووضع الحركَات والتنوين لاغير. ت (٦٩هـ)بالبصرة٤، وإرادة المعاني بالكلام موجودة بوجود الكلام، بل حتى قبل النطق به أصلاً، والإعراب هو الذي يحدد المعاني، فالاعراب قبل الحركات.

٤– توقف المعنى وإشكاله في حالة الإعراب التقديري، كما في نحو: ضرب موسى عيسى، ممَّا يدل على أنَّ الإعراب بالمعاني لا بالحركات، والحركات دلائل على المعاني لا منشئات.

٥– القول بأن الحركات هي الإعراب هو الذي جرّأ قطرباً على قوله :" إن الإعراب لم يدخل ليفرق بين المعاني، وإنما دخل ليفرق بين الوصل والوقف"٥. وقال أيضاً:" إنّما جعل أخيراً لتعذّر جعله

---

(١) ينظر : شرح الاشموني ، ١/٤٠ ، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك : ١ | ٩٧.

(٢) حاشية عبد الله العشماوي على الآجرومية : ٩.

(٣) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١ | ٩٦.

٤ _ ينظر: طبقات النحويين واللغويين : ٢١ – ٢٦، نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ١٧ – ٢٢، وفيات الأعيان : ٢. / ٥ ٥٣، صبح الأعشى : ٣. / ١٦١، إنباه الرواة :١. / ١٣ .

٥ _ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢٩٨/١

وسطاً، إذ لو كان وسطاً لاختلطت الأبنية، وربّما أَفضى إلى الجَمع بين ساكنين، أو الابتداء بالسَّاكن وكلُّ ذلك خطأٌ لا يوجد مثله فيما إذا جعل أخيراً"١. فعلى قوله : إن العرب أعربت كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون، فجعلوه في الوصل محركا حتى لا يبطئوا في الإدراج، وعاقبوا بين الحركة والسكون وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به، ولم يلتزموا حركة واحدة لأنهم أرادوا الاتساع، فلم يضيقوا على أنفسهم وعلى المتكلم بحظر الحركات إلا حركة واحدة ، فقوله :إنَّها جاءت لأجل الوصل؛ لأن إنكاره للحركات على فرض أنها هي الإعراب يلزمه القول بأن الكلام لا إعراب فيه فلا معاني له، وهو لا يقول به.

٦– قولهم : حركات الإعراب، فلو كانت الحركات نفسها هي الإعراب، لزم إضافة الشيء لسببه وذلك ممتنع، إلَّا باعتبار أن الإضافة بيانية٢، والأصل عدمها، والله أعلم.

المطلب الثاني: أقسام الإعراب ، وعلاماته .

أولاً : أقسام الإعراب

إذا تعلق عامل فاقتضى معنى وجب وجود ما يكون دليلاً على هذا المعنى، فإن لم يمنع من ظهوره شيء، سمي هذا الإعراب لفظياً، وإن منع، فإن كان في آخره سمي تقديرياً، أو في نفسه سمي محلياً، وتفصيلها:

١. الإعراب التقديري : وهو ما لا يظهر في اللفظ، بل يقدر في آخره لمانع فيه، ولا يكون إلا في المعرب كاللفظي، وله مواضع:

أ– مفرد آخره ألف، وإن حذف لالتقاء الساكنين.نحو: عوى الذِّئبُ ، ويبقى الاثرُ الطيبُ نافعاً لصاحبه.

ب_ ما أضيف لياء المتكلم مفرداً أو جمعاً موصوفاً.نحو: هذا عبدي .

ج– ما في آخره إعراب محكي، كالجملة المنقولة إلى العلمية.نحو: جاءنا تأبطَ شراً، فتأبطَ فعل ماضٍ قبل هذا التركيب ، وهنا محله الرفع لانه فاعل.

د– ما في آخره ياء مكسور ما قبلها، وإن حذف لالتقاء الساكنين.نحو: هذا قاضِي الناسِ.

---

١ _ التبيين عن مذاهب النحويين: ١٦١

٢ _ " فرق بعض النحاة بين الإضافة التي "للبيان"، والإضافة البيانية ؛ بأن التي للبيان يكون بين جزأيها عموم وخصوص مطلق، وأن "البيانية" يكون بين جزأيها عموم وخصوص من وجه. وهذا الخلاف شكلي؛ لا أثر له".... النحو الوافي:٤٢/٣

هـ– فعل آخره واو مضموم ما قبلها.نحو: زيدٌ يدعُو أخاه للدرسِ.

و– اسم إعرابه بالحروف ملاقٍ لساكن بعده.رأيتُ أخا القومِ صادحاً بالحقِ.

ز– الموقوف عليه بالإسكان مما كان إعرابه بالحركة .جاءَ زيد.

٢. الإعراب المحلي : ويكون حيث لم تستحق الكلمة الإعراب، لأجل بنائها، على معنى أنها وقعت في محل لو وقع فيه غيرها لظهر فيه الإعراب، وله موضعان :

أ– الاسم المعرب المشتغل آخره بإعراب غير محكي، فيحكم على محله.نحو: جاءنا تأبطَ شراً ، فشراً اعربه قبل هذا التركيب هو مفعول به للفعل تأبطَ.

ب– المبني : وهو ما كانت حركته أو سكونه لا بعامل، والفرق بين الإعراب المحلي والتقديري، أنَّ الكلمة في التقديري استحقت الإعراب، ولم يظهر عليها بسبب الحرف الأخير، أمَّا في المحلي فالكلمة غير مستحقة للإعراب لبنائها، حتى لو كان في محلها معرب لتغير آخره (١).

٣. الإعراب اللفظي : وهو ما عدا ما تقدم، ويظهر عليه الإعراب.

ثانياً : علامات الإعراب ...

الكلمة قبل دخولها في التركيب ليست معربة ولا مبنية والإعراب والبناء طارئان بعد التركيب، يعني : زيد لوحدها لا تقل: زيد هكذا إلَّا من باب التعليم، وإلا تقول: زيد بالإسكان؛ لأنْ (زيدٌ) معناه: أنك أعربتها؛ لأن هذه الضمة ضمة إعراب، فإذا كان كذلك أين العامل؟ ليس لها عامل، أنت لم تركبها بعد، لم تسندها إلى غيرها، فإذا قلت: زيدٌ أخطأت، وإنما تقول: زيد؛ لأن الكلمة قبل تركيبها على الصحيح فيها ثلاثة أقوال: قيل معربة، وقيل مبنية، وقيل لا معربة ولا مبنية، وهذا رأي ابن مالك وهو أرجح، أنَّها لا توصف بإعراب ولا بناء. وإنَّما يكون الإعراب والبناء بعد التركيب، إذًا قبل التركيب لا إعراب ولا بناء..٢ ، والكلمة إن دخلت التركيب ودخل عليها العامل، إن اقتضى الرفع رفعت، وإن اقتضى النصب نصبت، أو اقتضى الجر جرّت، أو الجزم جزمت، لذا كانت أنواع الإعراب أربعة:

١. الرفع : وهو علامة العُمَد في الجملة، وله عدة علامات، هي: الضمة، والواو، والألف، وثبوت النون.

---

(١) ينظر: شرح الأطه لي على إظهار الأسرار للبركوي : ٢٧٠ – ٢٧٩.

٢ _ ينظر : توضيح المقاصد والمسالك :٢٩٧/١

٢. النصب : وهو غالب في الفضْلات، وله عدة علامات، هي: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء، وحذف النون.

٣. الجر : وهو علامة الإضافة، ويختص بالأسماء، وله عدة علامات، هي: الكسرة، والفتحة، والياء.

٤. الجزم : وهو القطع، وهو علامة الفعلية، وله عدة علامات، هي : السكون، وحذف حرف العلة، وحذف النون.

وهذه الأنواع الأربعة تنقسم على ثلاث مجاميع :

١. ما هو مشترك بين الاسم والفعل، وهو الرفع والنصب.

٢. ما هو مختص بالاسم، وهو الجر.

٣. ما هو مختص بالفعل، وهو الجزم....وإنَّما جعل الإعراب في آخر الكلمة؛ لأنَّه دال على وصف الاسم، أي : كونه عمدة أو فضلة، والدال على الوصف بعد الموصوف .(١).

المبحث الثاني :الخلاف في الإعراب، المذاهب، ونقد الآراء...

المطلب الاول : الخلاف في الاعراب...

قبل ذكر المذاهب في مسألة وجود الإعراب في اللغة العربية، يجب تحقيق المعنى المراد من كلمة الإعراب في هذا الباب، فالإعراب هنا لفظ مشترك بين عدة معان، وهي :

١. الحركات نفسها.

٢. دلالة الحركات على المعاني.

٣. دلالة كلمة الإعراب نفسها على المعاني، أي : المعنى المراد.

فأمَّا كون الإعراب يراد به الدلالة على المعنى، فعدم القول به شيء مرفوض، لأنه لا يمكن تصوّر وجود لغة ينطق بها البشر خالية من المعاني، أمَّا كون المراد بالإعراب الحركات نفسها، فالقول بنفيه مُسَلَّم به؛ لأنَّ الحركات مبتدعة للدلالة على المراد من الكلام، ولا أحد يقول بأنَّ الضمة أو الفتحة أو الكسرة كانت موجودة في عهد ما قبل اختراعها في الرسم، وأمَّا كون الحركات دالة على المعنى، بمعنى أنَّ العرب كانت تراعي القواعد النحوية في الدلالة على معاني كلامها التخاطبيّ؛ فهذا هو محل الخلاف، والذي سيذكر فيه المذهبان.

---

(١) ينظر: شرح رضي الدين الاسترابادي على كافية ابن الحاجب : ١ | ٦٩ – ٧١.

المطلب الثاني : المذاهب ومناقشة الآراء...

أولاً : مذهب النافيين وأدلتهم :

لقد نقل الباحثون في هذا المجال أقوالاً عمّن ينفي ذلك :

١ــ فمن القدامى ، نقل الزجاجي(١) عن قطرب : أنَّهُ عاب على النحويين قولهم: أنَّ الإعراب دخل الكلام للفرق بين المعاني، قائلاً ، (أي قطرب): "وإنَّما أعربت العرب كلامها؛ لأنَّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقِباً للإسكان؛ ليعتدل الكلام." اهـ

وأما من المستشرقين، فقد نقل صبحي الصالح(٢)، ومحمد أسعد النادري(٣) عن المستشرق كارل فولرز قوله : بأنَّ القرآن نزل أول الأمر بلهجة مكة المجردة من ظاهرة الإعراب، ثم نقّحه العلماء على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس، حتى أضحى يُقرأ بهذا البيان العذب الصافي، وغدا في الفصاحة مضرب الأمثال.

٢– باول كاله، والذي زعم في كتابه الذخائر القاهرية بأنَّ نص القرآن جمع بعد وفاة النبي ﷺ،بمدة وجيزة، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة عثمان بن عفانﷺ، وهنا قامت مشكلة : كيف يقرأ هذا النص ويرتل، فقد وُلد محمد ﷺ،وانحدر من قريش وكانت اللغة العربية التي يتكلمها هي لغة المواطن المثقف في مكة، والنص القرآني الخالي من الضبط بالشَكَل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تُتَكلم في مكة، غير أن العرب كانوا قد تعوّدوا أن يعدّوا اللغة البدوية نموذجاً للنطق الصحيح، فبهذه اللغة نظم الشعر العربي الجاهلي، وكان كل عربي مزهواً بذلك، وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة أقل مستوى من أية لغة أخرى، فقد بدأت في العواصم الإسلامية في ذلك العصر المبكر دراسة نشيطة للشعر البدوي، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجمعون ما أمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التي جُمعت تحت عنوان: أيام العرب، وقد اتخذت المادة التي جمعت بهذه الطريقة أساساً للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على

---

(١) الإيضاح في علل النحو : ٧٠ – ٧١.

(٢) ينظر :دراسات في فقه اللغة : ١٢٣ – ١٢٤.

(٣) ينظر :فقه اللغة، مناهله ومسائله : ٣٣٦.

نمطها، ومع ذلك لم تغير كتابة المصحف، بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص؛ لضمان صحة القراءة(١).

٣– كوهين: والذي ذكر في (لغات العالم)، كما نقل عنه الدكتور صبحي الصالح(٢) : أنه لا ينكر وجود الإعراب في اللغة المثالية الأدبية : لغة الشعر والخطابة في الجاهلية والإسلام، ولكنَّه يستبعد مراعاتها في لهجات الحديث بين عرب الجاهلية. اهـ . وقد ذكر الصالح بأن كوهين أقام رأيه على ملاحظتين، وقد ذكرهما قبله الدكتور علي عبد الواحد، فقال(٣):

أ. دليل لغوي : وهو أن جميع اللهجات العامية المنشعبة من العربية والتي تستخدم الآن في الحجاز ومصر والعراق والشام وبلاد المغرب مجردة من الإعراب، فلو كانت لهجات المحادثة العربية القديمة معربة لانتقل شيء من نظامها هذا إلى جميع اللهجات الحاضرة أو إلى بعضها.

ب. دليل منطقي : وهو أن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق، وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقتها بعضها ببعض، لا يعقل أنَّها كانت مراعاة في لهجات الحديث؛ لأنَّ لهجات الحديث تتوخى في العادة السهولة واليسر وتلجأ إلى أقرب الطرق للتعبير.

وأمَّا من المحدثين فقد اعترض العلماء على ما قام به الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة)، من محاولة لصياغة نظرية متكاملة لتفسير ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، والتي استهلها بقوله(٤) : قصة الإعراب، ما أروعها قصة! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري، أو أوائل الثاني، على يد قوم من صناع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصناً منيعاً، امتنع حتى على الكتّاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية، وشقّ اقتحامه إلا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة. اهـ

وبعد أن ساق روايات تحذر من اللحن، قال(٥): ونحن بصدد هذا الذي سموه لحناً بين أمرين: إما نسلم بصحة هذه الروايات، وأن كلمة اللحن كانت تعني في الغالب الخطأ الإعرابي، وحينئذ لا

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٣٣٦ – ٣٣٧.

(٢) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ١٢٧.

(٣) ينظر : فقه اللغة : ١٠٣.

(٤) من أسرار اللغة : ١٩٨.

(٥) المصدر نفسه : ٢٠٢ – ٢٠٣.

مناص لنا من أن نعد ظاهرة الاعراب من الظواهر التي لا يمكن أن تمت للسليقة اللغوية بصلة، وذلك ؛ لأن صاحب اللغة الذي يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ في ظواهر تلك اللغة دون أن يدرك أنه أخطأ، فالإنجليزي لا يخطئ في كلامه إلا إذا قسنا كلامه بمستوى لغوي آخر فوق كلام الناس، ونحن في كلامنا بالعامية لا نخطئ، فإذا زلّ اللسان في لحظة ارتباك أو تلعثم رجعنا عن هذا الزلل في لمح البصر، وأدركنا أننا قد وقعنا فيه، ولا يتصور وقوع الخطأ من صاحب السليقة اللغوية في أي ظاهرة من ظواهر لغته: في تركيب أصواتها، أو في ترتيب الكلمات بجملها، أو في صيغها، أو في طريقة النفي والإثبات، أو في طريقة الاستفهام والتعجب، ونحو ذلك.

وعلى هذا يمكننا أن نتصور أنَّ ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعاً كما يقول النحاة، بل كانت كما قلت في كتاب اللهجات العربية : صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم.

وإمَّا أن ننكر تلك الروايات في جملتها، وأن نقول: إنها من صنع بعض النحاة بعد أن أسسوا قواعدهم وأصولهم؛ رغبة منهم في أن يُظهروا كل من عداهم بمظهر العجز، وأن ينفردوا هم بمعرفة تلك المقاييس الإعرابية، ثم قال: ثم نقول فيما يصح لدينا من تلك الروايات: إن ما وصفوه باللحن لم يكن خطأ إعرابياً، وإنما كان صفة من الصفات الخاصة في اللهجات التي تحاشاها الفصحاء وعلية القوم في المجالات الجدية من القول.

فإذا تصادف أن وقع في كلام أحدهم، وهو يتكلم النموذجية الادبية، أو يخطب بها، صفة من صفات لهجته الخاصة سُمي هذا لحناً، ثم قال(١):" ثم شاع اللحن بمعنى الخطأ حين عظم اختلاط العرب بالأعاجم، وتنبّه علماء اللغة إلى الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون، فأطلقوا على كل انحراف عن المألوف في لغة العرب لحناً".

مجلة البحوث والدراسات الإسلامية المحكمة- العدد 70

المطلب الثالث : نقد الآراء المتقدمة

سأتناول هنا نقد الآراء التي مرّ ذكرها، وما قد يبدو فيها:

(١) المصدر نفسه: ٢٠٧.

أما رأي قطرب على ما نقله عنه الزجاجي، فهو لم ينف الإعراب في اللغة العربية، وإنما فلسف علة الحركات في الإعراب، فقطرب لم يتكلم عن الإعراب من حيث هو دلالة على المعنى، وإنما تكلم عن الإعراب (أي الحركات)، من حيث علة وجودها، ولا شك أن الحركات من حيث الرسم محدثة، والخلاف في كونها إعراباً قد تقدمت الإشارة إليه، وأما قول قطرب الذي نقله عنه الزجاجي(١)، قائلاً فيه: " لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني، فمعناه الدلالة على المراد بالكلام من المعنى، كالتوكيد، والترجي، والتشبيه وغيرها من مرادات الكلام، لا أن الرفع أو النصب أو غيرها لا يدلّان على معنى الفاعلية مثلاً أو المفعولية "، والدليل على ذلك قول قطرب(٢): فما اتفق إعرابه واختلف معناه، قولك: إنّ زيداً أخوك، ولعل زيداً أخوك، وكأنّ زيداً أخوك، اتفق إعرابه واختلف معناه. اهـ، فهذا يدل على أن المراد من قوله : عدم دلالة الإعراب على المعاني، ما تقدم ذكره، لا معاني الفاعلية وغيرها، فالوهم نتج من اشتراك معنى كلام قطرب: (الدلالة على المعاني).

وأما كلام كارل فولرز، فإن قصد بتلك النهايات المسماة بالإعراب، الحركات، فقد يسلّم إليه قوله؛ لأن الحركات، كما تقدّم، محدثة، وإن قصد بأن قواعد الإعراب كانت غير مراعاة، بمعنى: أن الفاعل قد يكون مرفوعاً مرة وقد يكون منصوباً أخرى، والمفعول وغيرهما كذلك، ثم صارت نسقاً واحداً، فهذا مردود عليه، وأدلته أكثر من أن تحصى، ومدّعي عدم المراعاة مطالَب بالدليل الصحيح الخالي من المعارضة والتأويل؛ لأنه خلاف الأصل، وسيأتي مزيد كلام في المبحث الثاني الخاص بردّ تلك الأقوال.

أما قول كاله، فالخطر في كلامه يكمن في قوله: ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، فإنه إن كان قصده عدم انتظام لغة القرآن إلا بعد معرفة وجمع القواعد من البوادي، فعليه الدليل؛ لأنه خلاف الأصل، وإن كان قصده الحركات المحدثة، فربما يسلّم ما كان إعرابه بالحركات، أما ما كان إعرابه بالحروف، فينقض التسليم بالحركات، ويؤيّد أن الإعراب قد روعيت فيه قواعده في الجميع.

أما قول كوهين : فيحتاج لتصحيح النقل، وعلى فرض صحته لا يعطى له حكم الغالب؛ لأن كل دليل ذكر في عدم مراعاة القواعد في لهجة الحديث ذكر معه الإنكار على قائله، فلو كان ترك القواعد مستساغاً في اللهجة العامية، لما ساغ الإنكار، فيمكن أن يُقال له: إنك إن صححت ما تحتج به، فقد صححت دلائل إبطال رأيك.

فكلام كوهين يحتاج لتصحيح النقل، أو إلى السماع المباشر من المتكلمين به، ودون ذلك زعم القتاد.

---

(١) الإيضاح في علل النحو : ٧٠.

(٢) نقلاً عن الإيضاح للزجاجي : ٧٠.

وأما رأي الدكتور إبراهيم أنيس: فهو يشبه في بعض جوانبه رأي قطرب، وقد احتوى على إلزامات قوية لا يستهان بها تحتاج إلى ردّ علمي حقيقي لا خطابي كما جرى في بعض كتب فقه اللغة من أنه شنع على النحاة وأنه أتى ببدعة مزينة ببعض المساحيق، ذات أسلوب لغوي لا يخلو من المهارة، وخصب الخيال، فهذا من كلام الخطاب لا من الردّ العلمي اللائق بكتب البحث العلمي الرصين.

ثانياً : مذهب المثبتين وأدلتهم...

سأتناول في هذا المبحث مذهب القائلين بأن قواعد الإعراب كانت مراعاة في كلام العرب: لغة التخاطب، أو لغة الكتابة، وقولهم هذا إن كان المقصود به الحركات، فغير مسلم؛ لأنها محدثة، وإن كان قصدهم بأن قواعد الإعراب كانت مراعاة من حيث التلفّظ لما إعرابه بالحركات، ومن حيث التلفّظ والرسم لما كان إعرابه بالحروف، فما نقل إلينا في كتب الأدب والشعر والخطابة، وأفضل منهن القرآن وصحيح السنة، يؤيّد ذلك، أما الردّ على كلام النافين،فعلى النحو الآتي:

من القدامى : قد نقل الزجاجي: أن المخالفين لقطرب ردّوا عليه قائلين: لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة، ورفعه أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه؛ لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته، فهو مخيّر في ذلك، وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب، وحكمة نظام كلامهم(١). اهـ.

ثم ذكر الزجاجي احتجاج النحويين على قطرب بما يؤيد ما تقدّم ذكره في نقد رأي قطرب إذ قال(٢): " واحتجّوا لما ذكره قطرب من اتفاق الاعراب واختلاف المعاني، واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدّم ذكرها، بأن قالوا: إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعدها الأفعال؛ لأنه يذكر بعدها اسمان، أحدهما: فاعل، والآخر: مفعول فمعناهما مختلف، فوجب الفرق بينهما، ثم جعل سائر الكلام على ذلك، وأما الحروف التي ذكرها فمحمولة على الأفعال. اهـ "، وهذا يؤيّد ما قلت.

١. ومن المستشرقين، ما أنكره (نولدكه) على (فولرز) إذ قال: " إنه من غير المعقول أن يكون محمد ﷺ، قد استخدم في القرآن لغة تخالف كل المخالفة تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية، وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم. اهـ "(٣).

---

(١) الإيضاح في علل النحو : ٧١.

(٢) الإيضاح في علل النحو : ٧١.

(٣) فصول في فقه العربية : ٣٨١.

ثم قال نولدكه: " إنَّ من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأنَّ اللغة الحيّة في عهد النبي محمد ﷺ ، لم يكن فيها إعراب، فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو ، ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً في الحديث اليومي قد عودت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب. اهـ" ، "(١). ثم قال: لو كان النبي ﷺ ، أو أحد معاصريه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها، ثم قال: إن لهجة شديدة الانحراف عن عربية النحاة لا يناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة (٢).

٢. المستشرق يوهان فك،الذي قال(٣): " لقد احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية، باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية، من قبل العهد الاسلامي ومن بعده، ترينا علامات الإعراب مطّردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا حتى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على الأقل يختلفون إلى عرب البادية؛ ليدرسوا لغتهم، تدل على أن التصرف الاعرابي كان بالغاً اشده لذلك العهد، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداة ظواهر الإعراب، أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربي، وهو القرآن، قد حافظ ايضاً على غاية التصرف الإعرابي ، فهذا أمر ، وإن لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر، الذي لا تترك أساليب العروض والقافية مجالاً للشك في إعراب كلماته، إلا أنَّ مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثراً للشك فيه كذلك. اهـ"

٣. المستشرق برجشتراسر: إذ قال(٤):" إنَّ الإعراب سامي الأصل تشترك فيه اللغة الأكدية، وفي بعضه اللغة الأثيوبية، ونجد آثاراً منه في غيرهما." ..هذا وقد نقل الدكتور إبراهيم السامرائي القول: بأنَّ المستشرقين كادوا يجمعون على أن الإعراب ظاهرة ساميّة(٥). وأمَّا من المحدَثين، فقد ردّ مجموعة من العلماء على النافين، منهم: الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) قائلاً(٦): وإليك طرفاً من الأدلة التي لا تدع مجالاً للشك في فسادهما:

---

(١) المصدر نفسه : ٣٨١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٨١.

(٣) ينظر : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب : ٣.

(٤) التطور النحوي : ٧٥.

(٥) ينظر : فقه اللغة المقارن : ١١٩.

(٦) ينظر : فقه اللغة : ١٠٣ – ١٠٦.

أ. إنَّ عدم وجود هذه القواعد في اللهجات العامية الحاضرة لا ينهض دليلاً على أنّها لم تكن موجودة في العربية الأولى.

ب. ليس من الغريب أن تتفق اللهجات العامية جميعاً في التجرد من علامات الإعراب، فقد خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتي، وهو (ضعف الأصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها)، وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية في تطورها، فما يمكن أن تفلت منه لهجة.

ج. بقاء الكثير من آثار الإعراب ولاسيما الاعراب بالحروف في اللهجات العامية الحاضرة، وقيل: حتى بعض آثار الحركات في بعض اللهجات الحاضرة.

د. يمكن ملاحظة الكثير من علامات الإعراب باقية في لهجات المحادثة المنشعبة عن العربية حتى أواخر العصور الوسطى ، كما يُرى في كتب التأريخ.

هـ. دقة القواعد وتشعّبها لا يدلان مطلقاً على أنَّها مخترعة اختراعاً، فاليونانية واللاتينية مثلاً في العصور القديمة، والألمانية في العصر الحاضر، يشتمل كل منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد العربية، ولم يؤثّر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد، ولا في مراعاتها في الحديث، ولم يقل أحد: إنَّها من خلق علماء القواعد.

و. إنَّ خلق القواعد خلقاً محاولة لا يتصوّرها العقل، ولم يحدث لها نظير في التاريخ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل أو يتصور نجاحها.

ز. علماء القواعد العرب لم يكن لهم علم باللغة اليونانية وقواعدها، ولم تكن لهم صلة ما بعلماء القواعد من الإغريق، هذا مع الاختلاف بين قواعد اللغتين، فلو أُخذت عنها لتشابهت في بعضها على الأقل.

ح. لا يمكن تصوّر تواطؤ علماء مخلصين للعلم ودقيقين ومحتاطين على هذه القواعد، وهذا الإفك المبين، وهو ليس بموجود.

ط. على فرض تواطؤهم لا يمكن تصوّر تواطؤ جميع علماء عصرهم معهم، إلا على فرض أنَّ علماء القواعد قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم.

ي. دلالة النقوش المكتشفة على أنَّ الإعراب كان مستخدماً في العربية البائدة نفسها، فبعض العلامات قد رمز إليها بحرف ملحق آخر الكلمة، وذكر أمثلة لذلك في مواضع من كتابه.

ك. عدم انفراد العربية بنظام الإعراب من بين أخواتها السامية، ووجوده في غيرها لدليل قاطع على أنَّهُ منحدر من الأصل السامي وليس من خلق النحاة.

ل. قيام أوزان الشعر على ملاحظة نظام الإعراب، فبدونه تختلّ أوزان الشعر، فعدم الثاني دليل عدم الأول.

م. وصول القرآن إلينا معرباً، وهو أقوى الأدلة وأكثرها اعتباراً.
ن. دلالة رسم المصحف العثماني نفسه مع تجرده من الإعجام والشكل على فساد هذا المذهب، والمصحف قد دوّن قبل عصر علماء البصرة والكوفة الذين تنسب إليهم هذه المذاهب الفاسدة من اختراع قواعد الإعراب. اهـ. بتصرف
وأما رأي الدكتور إبراهيم أنيس، فقد ردّ عليه مجموعة من العلماء منهم:
١. الدكتور مهدي المخزومي ، والذي قال(١): " فإذا لم تكن الحركات أعلاماً لمعان قصد إليها المتكلم ، بل لم تعد أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها مع بعض، فكيف يفسّر الوقف على «خالد» في لغة من ينتظر؟ ولماذا كانت الدال مرفوعة ومنصوبة ومخفوضة في الجمل الثلاث؟ ولماذا لا تكسر؛ لتنسجم حركة الدال مع حركة اللام قبلها، كما رجّح أن تكون كلمة شاحباً، في البيت السابق قد قالها الشاعر مكسورة، ولكن النحاة أبدلوا من الكسرة فتحة، لتنسجم مع قواعدهم، وماذا يقول الدكتور في نحو قوله تعالى من سورة الطور: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ} (الطور ٧–٨)، مثلاً؟ وكيف يطبّق مذهبه المشار إليه عليها؟ وبماذا يعلل وجود الضمة بعد القاف المكسورة، إذا وُصلت الآيتان، ولم يوقف على آخر الأولى منهما؟ وهل يرى أنَّ هذه الآية من سورة الجن، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾(الجن ٥)، مثلاً إنَّما قرأها النبي ﷺ : كُذِّب، بكسر الباء؛ لتنسجم مع كسرة الذال، كما زعم أنَّ أبا ذؤيب كان قد نطق كلمة شاحباً، في البيت السابق: شاحب، بكسر الباء؟ وعليه

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : ٢٩٠ – ٢٩١.

فإن القول بأنَّ الحركات إنما هي سدّ للحاجة إلى وصل الكلمات بعضها ببعض، وأنها ليست أعلاماً للمعاني التي قصد إليها المتكلم، قول لم يحالفه التوفيق. "

٢. الدكتور رمضان عبد التواب، إذ قال(١): إنَّ الإعراب في العربية يدل على المعاني من الفاعلية والمفعولية وغيرهما، ولم يكن حركات وصل بين الكلمات كما يرى الدكتور أنيس. اهـ بتصرف،التي قد ذكر الكثير من الأدلة وقد مرّ أكثرها في قول الدكتور علي عبد الواحد.

٣. الدكتور صبحي الصالح، بعد أن دفع هجوم أنيس على النحاة بهجوم مقابل قائلاً(٢): وهذا غلوّ لا ريب فيه، ثم قال(٣): إلا أنَّ الإعراب، سواء أصحّت هذه الأخبار أم لم تصح سنداً أو متناً، وعقلاً أو نقلاً، لم يكن بالقصة، ولا يُعقل أن يكون كله نسيجاً محكماً في عصر معين، ولا أن يقوم بحياكته كله بهذه الدقة وهذا الشمول قومٌ بأعيانهم، كأنه شيء أنف يبتدعونه من تلقاء أنفسهم، فهناك حدّ أدنى من ظاهرة الإعراب لا بدّ من الإقرار بوجوده، كالذي عرفناه في الشعر الجاهلي، والذي رأيناه في المواقع القرآنية المشكلة ، وهي المواقع التي لا يعين معناها الأدق إلا تحريك الأواخر بحركة الإعراب.اهـ

قال النادري(٤): خلاصة القول أنَّ الإعراب ظاهرة عبقرية في اللسان العربي، وهو أصيل أصالة هذا اللسان ، وهو من الأمور التي تساعد على جدية بناء الجملة العربية، ثم قال(٥): " وأما ذلك الرأي الذي حاول أصحابه نسْف ظاهرة الإعراب من أساسها، بزعم أنَّ العرب لم يعرفوه في الأصل ، وإنَّما اخترعه النحاة، وطبقوه حتى على القرآن الكريم، وأنَّ الحركات الإعرابية لا تدل على المعاني، وإنَّما هي حركات جيء بها للتخلص من التقاء الساكنين، فهو رأي مشبوه الغرض والغاية.اهـ"

الخاتمة:

مجلة البحوث والدراسات الإسلامية المحكمة- العدد 70

(١) ينظر: فصول في فقه العربية : ٣٨٢.

(٢) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ١٢٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٣٥.

(٤) ينظر : فقه اللغة، مناهله ومسائله : ٣٤٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٣٤٥ – ٣٤٦.

١. الخلاف في تعريف الإعراب اصطلاحاً، خلاف معنوي ذو أثر لفظي ، فعلى الأول يُقال: مرفوع بالضمة، وعلى الثاني يُقال: مرفوع وعلامة رفعه الضمة، ففي الأول الضمة إعراب، وفي الثاني الضمة دلالة على الإعراب.

٢. إنَّ القول بأنَّ الإعراب معنوي، والعلامة دالة عليه، قول لا مفرّ منه.

٣. الخلاف في وجود الإعراب ، وإن كان موجوداً ، لكنه لا يكاد يعتبر ، والصحيح أنَّ غالب العرب كان يتحدث الفصحى بالإعراب ، وأنَّه كان يراعي هذه القواعد سواء أكان في لغة التخاطب اليومي ، أم في لغة الأدب والشعر والخطابة ، وأن المخالف مطالب بالدليل الصحيح القوي الذي لا يقبل التأويل ؛ لأنه خلاف الأصل.

٤. إنَّ لفظة الإعراب في مبحث وجوده وعدمه ، لفظة محتملة لمعان ثلاثة ، فهو يطلق ويُراد به الحركات نفسها ، أو يُراد به دلالة الحركات على المعنى ، أو يُراد به المعنى نفسه المراد ، أي: الدلالة على المعنى المراد عند التخاطب.

٥. قد يظهر من كلام العلماء في هذه المسألة أنَّ الخلاف في وجود الإعراب كان موجوداً من أول زمن التدوين ، وذلك بذكر مذهب قطرب على ما نقله عنه الزجاجي ، والحقيقة أنَّ ما نقله الزجاجي عن قطرب لا يُرى فيه ما يدل على أنَّ قطرباً كان ينكر ظاهرة الإعراب في العربية ، بمعنى أنَّ العرب كانت تتكلم كلامها غير مراعية لقواعد منضبطة في كلامها ، وإنَّما يُفهم منه أنَّه أعطى رأياً في التعليل لوجود الحركات ، وأمَّا قوله على ما نقله عنه الزجاجي من أنَّ الحركات لا تدل على المعاني ، فمعناه أنَّ الحركات لا تدل على المعاني المرادة من الكلام والتي هي من مباحث علم المعاني ، كالتشبيه والتوكيد والترجي ، وغيرها من أغراض الكلام ، وليس معناه أنَّ الحركات لا تدل على معنى الفاعلية أوالمفعولية في الجملة، والدليل على ما قلت أنه قال على ما نقله عنه الزجاجي: فما اتفق إعرابه واختلف معناه ، قولك: إنّ زيداً أخوك ، ولعل زيداً أخوك ، وكأنّ زيداً أخوك." فهل يمكن ملاحظة اختلاف في المعنى غير أنَّ الأول للتوكيد ، والثاني للترجي، والثالث للتشبيه ، ومن الحق أن يُقال: إنَّ الحركات لم تدل على هذه المعاني ، فالذي أراه أنَّ رأي قطرب قد أُسيء فهمه.

٦. مسألة ظاهرة الإعراب بحاجة لدراسة عميقة علمية شاملة خالية من التأثر بالموروث العلمي ، يُنظر على ما قيل فيها من آراء إلى أنها آراء ، ولا يُعتمد على ما صدر فيها من أحكام مسبقة متأثرة.

٧. لا مجال في إنكار بعض ما نقلته إلينا كتب التأريخ والأدب من وجود بعض اللحن الذي تسرّب إلى ألسنة المتكلمين ، ومنذ العهد الأول للتدوين ، بيد أنَّ هذا المرض لم يكن متفشيّاً ، وكان غير مقبول ، والدليل على هذا القول عدة مسائل من الممكن أن تُرى هي:

أ. صحة بعض هذه الروايات ، أو ما يقرب منه.

ب. إرسال العرب أبنائهم إلى البوادي ليتعلموا العربية الفصيحة، دون إبقائهم في المدن، فلو كانت الفصحى بكل كمالاتها منتشرة في المدن، لكان إرسال الأبناء إلى البوادي عبثاً.

ج. ما قاله صاحب الصاحبي من أن العرب لم تكن تتشدد في لغة التحادث اليومي تشددها في لغة الكتابة والأدب والخطابة.

٨. كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، كتاب أصيل في هذا الباب، وأكثر من كتب بعده اعتمد أفكاره وصاغها بأسلوب جديد.

٩. عدم خلو بعض كتب العلم من عبارات لا تليق بكتب البحث العلمي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته وسلّم تسليماً كثيراً، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر:

١ــ حاشية أبي النجا على شرح خالد الأزهري للآجرومية : المطبعة العامرة الشرفية ، سنة ١٣١٤هـ

٢ــ القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٣ــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤ــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: محمد كامل بركات ، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٥ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ،المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦ــ شرح قطر الندى وبل الصدى : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) ،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة ، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣.

٧ــ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ) ،المحقق: نواف بن جزاء الحارثي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

٨ــ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. الأشموني نور الدين أبو الحسن: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩ــ حاشية عبد الله العشماوي على الآجرومية: تحقيق : ابي عبد الله خالد بن بكير ،دار ابن حزم ، بيروت ــ لبنان ،٢٠١٨.

١٠ــ حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك : أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

١١ــ شرح الأطه لي على إظهار الأسرار للبركوي: مصطفى بن حمزة بن ابراهيم آطه لي ت١٠٨٥هـ ،دار السراج ـ استنبول ،٢٠١٩ .

١٢ــ شرح رضي الدين الاسترابادي على كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية. بيروت.

١٣ــ من أسرار العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان ، ١٩٥١م.

١٤ــ الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي –تحقيق مازن المبارك مكتبة العروبة –مطبعة المدني– القاهرة سنة ١٣٧٨هـ.

١٥ــ اللغات السامية لنولدكه نقلاً عن فقه اللغة للنادري: ترجمة الدكتور رمضان عبد التوّاب، مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة.

١٦ــ العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب : يوهان فك ـ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب جامعة عين شمس، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٠م

١٧ــ التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٨٢م.

١٨ــ فقه اللغة المقارن، للدكتور إبراهيم السامرائيّ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣م.

١٩_ فقه اللغة وسر العربية المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: إحياء التراث العربي ،الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٢٠_ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو مدرسة الكوفة ومنهجها للدكتور مهدي المخزومي.

٢١_ فصول في فقه اللغة العربية: لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط. الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٢_ دراسات في فقه اللغة: لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط. التاسعة ١٩٨١م.

٢٣_ فقه اللغة، مناهله ومسائله : الدكتور : محمد اسعد النادري ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت ، ٢٠٠٩م

٢٤_ تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب : دار إحياء التراث العربي – بيروت _ الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢٥_ لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) : دار صادر – بيروت _ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٢٦_ غريب الحديث : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) : المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان _ الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥

٢٧_ النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) : المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م _ تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي

٢٨_ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ) شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر : دار الفكر العربي ، الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م

٢٩_ طبقات النحويين واللغويين : محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الثانية : دار المعارف

٣٠_ نزهة الألباء في طبقات الأدباء : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) ، المحقق: إبراهيم السامرائي : مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

٣١_ وفيات الأعيان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس : دار صادر – بيروت.

٣٢_ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) : دار الكتب العلمية، بيروت

٣٣_ إنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم : دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.

٣٤_ النحو الوافي : عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ): دار المعارف: الطبعة الخامسة عشرة

٣٥_ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ):المحقق: د. عبد الرحمن العثيمين: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

مجلة البحوث والدراسات الإسلامية المحكمة- العدد 70

sources:

_١ Abi al-Naga’s footnote on Khaled al-Azhari’s explanation of the Ajrumiyya: Al-Amrah Al-Sharqiah Press, year ١٣١٤ A.H.

_٢ Almuhit dictionary: Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi (died: ٨١٧ AH) Investigation: Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naim Al-Araqoussi: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, Edition: Eighth, ١٤٢٦ AH - ٢٠٠٥ M

_٣ Alkulyat A glossary of terms and linguistic differences: Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Quraimi Al-Kafwi, Abu Al-Baqa Al-Hanafi (deceased: ١٠٩٤ AH), investigator: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry
Publisher: Al-Resala Foundation - Beirut
_٤ Facilitating the benefits and completing the purposes: Muhammad bin Abdullah, Ibn Malik Al-Tai Al-Jiani, Abu Abdullah, Jamal Al-Din (deceased: ٦٧٢ AH), Investigator: Muhammad Kamel Barakat, Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing, Publication year: ١٣٨٧ AH - ١٩٦٧ AD
_٥ Explain the paths to Alfiya Ibn Malik: Abdullah bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Yusuf, Abu Muhammad, Jamal Al-Din, Ibn Hisham (deceased: ٧٦١ AH), the investigator: Youssef Sheikh Muhammad Al-Baq'i
Publisher: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution
_٦ Explanation of Qatar Al-Nada and Bel Al-Sada: Abdullah bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Yusuf, Abu Muhammad, Jamal Al-Din, Ibn Hisham (deceased: ٧٦١ AH), Investigator: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid
Publisher: Cairo, Edition: Eleventh, ١٣٨٣
_٧ Explanation of shithor aldahab in knowing the words of the Arabs: Shams al-Din Muhammad ibn Abd al-Moneim ibn Muhammad al-Jujari al-Qahiri al-Shafi`i (deceased: ٨٨٩ AH), investigator: Nawaf ibn Jaza al-Harthi, publisher: Deanship of Scientific Research at the Islamic University, Medina, Saudi Arabia (original book : Master's Thesis for the investigator), Edition: First, ١٤٢٣ AH / ٢٠٠٤ AD
_٨ Al-Salik's approach to the Alfiyyah of Ibn Malik. Al-Ashmouni Nour Al-Din Abu Al-Hassan: House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and Co.
_٩ Abdullah Al-Ashmawi's footnote on the Ajurumiya: Investigation: Abi Abdullah Khaled bin Bakir, Dar Ibn Hazm, Beirut - Lebanon, ٢٠١٨.
_١٠ Al-Sabban's Commentary on the Ashmouni Commentary on Ibn Malik's Millennium: Abu Al-Irfan Muhammad bin Ali Al-Sabban Al-Shafi'i (deceased: ١٢٠٦ AH), publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, Edition: First ١٤١٧ AH -١٩٩٧AD
_١١Explanation of al-Atha Li on revealing secrets to al-Barkawi: Mustafa bin Hamza bin Ibrahim Ata Lee, ١٠٨٥ AH, Dar al-Sarraj - Istanbul, ٢٠١٩
_١٢ Explanation of Radhi al-Din al-Istrabadi on Kafiya Ibn al-Hajib, Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut.
_١٣ From Asrar Al-Arabiya, Dr. Ibrahim Anis, Al-Bayan Committee Press, ١٩٥١ AD.

_١٤ Clarification on the Illness of Grammar by Abu Al-Qasim Al-Zajji - achieved by Mazen Al-Mubarak, Al-Uruba Library - Al-Madani Press - Cairo in ١٣٧٨ AH.
_١٥ The Semitic Languages of Noldeke, by the philology of Nadari: translated by Dr. Ramadan Abdel-Tawab, Dar Al-Nahda Al-Arabiya Library, Cairo.
_١٦ Arabic, Studies in Language, Dialects and Styles: Yohan Fak - Translated by Dr. Ramadan Abdel-Tawab, Ain Shams University, Al-Khanji Library, Egypt, ١٩٨٠
_١٧ The Grammatical Development of the Arabic Language, Bergstrasseer, directed, corrected and commented on by Dr. Ramadan Abdel Tawab, Cairo ١٩٨٢.
_١٨ Comparative Philology, by Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut ١٩٨٣.
_١٩ Jurisprudence of Language and the Secret of Arabic Author: Abd al-Malik Ibn Muhammad Ibn Ismail Abu Mansour al-Thaalbi (died: ٤٢٩ AH), Investigator: Abd al-Razzaq al-Mahdi, Publisher: Revival of Arab Heritage, Edition: First Edition ١٤٢٢ AH - ٢٠٠٢ AD
_٢٠ Al-Kufa School and its curriculum in studying language and grammar The Kufa School and its curriculum by Dr. Mahdi Al-Makhzoumi.
_٢١ Fusoul in Fiqh al-Arabic: by Ramadan Abdel-Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, Dar Al-Rifai, Riyadh, p. The third, ١٤٠٤ AH.
_٢٢ Studies in Philosophy of Language: by Sobhi Al-Saleh, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, p. Nineteen ١٩٨١ AD.
_٢٣ Jurisprudence of Language, Manas and Questions: Dr.: Muhammad Asaad Al-Nadari, Al-Mataba Al-Asriyyah, Sidon - Beirut, ٢٠٠٩
_٢٤ Language refinement: Muhammad ibn Ahmad ibn al-Azhari al-Harawi, Abu Mansour (died: ٣٧٠ AH) Investigator: Muhammad Awad Mereb: House of Revival of Arab Heritage - Beirut _ Edition: First, ٢٠٠١ AD
_٢٥ Lisan al-Arab: Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwafa'i al-Afriqi (died: ٧١١ AH): Dar Sader - Beirut _ Edition: Third - ١٤١٤ AH
_٢٦ Gharib Ah_Hadith: Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi (deceased: ٥٩٧ AH): Investigator: Dr. Abdul Muti Amin Al-Qalaji: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut - Lebanon _ Edition: First, ١٤٠٥ - ١٩٨٥
_٢٧ The End in Strange Hadith and Impact: Majd Al-Din Abu Al-Saadat Al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (died: ٦٠٦ AH): The Scientific Library - Beirut, ١٣٩٩ AH - ١٩٧٩ AD _ Investigation: Taher Ahmed Al-Zawi - Mahmoud Muhammad Al-Tanahi

_٢٨ Clarifying the purposes and paths with the explanation of Alfiya Ibn Malik: Abu Muhammad Badr Al-Din Hassan bin Qasim bin Abdullah bin Ali Al-Muradi Al-Masri Al-Maliki (deceased: ٧٤٩ AH) Explanation and investigation: Abdul Rahman Ali Suleiman, Professor of Linguistics at Al-Azhar University: Dar Al-Fikr Al-Arabi, Edition: First ١٤٢٨ AH - ٢٠٠٨ AD

_٢٩ The layers of grammarians and linguists: Muhammad ibn al-Hasan ibn Ubayd Allah ibn Madhhaj al-Zubaidi al-Andalusi al-Ishbili, Abu Bakr (died: ٣٧٩ AH), investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, edition: second: Dar al-Maaref

_٣٠ Nuzha Al-Alba in the Layers of Writers: Abdul Rahman bin Muhammad bin Obaid Allah Al-Ansari, Abu Al-Barakat, Kamal Al-Din Al-Anbari (deceased: ٥٧٧ AH), Investigator: Ibrahim Al-Samarrai: Al-Manar Library, Zarqa - Jordan, third edition, ١٤٠٥ AH - ١٩٨٥ AD

p

_٣١The Deaths of Notables: Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed Bin Muhammad Bin Ibrahim Bin Abi Bakr Bin Khalkan Al-Barmaki Al-Erbili (died: ٦٨١ AH), investigation: Ihsan Abbas: Dar Sader - Beirut.

_٣٢ Subh Al-A’sha in the construction industry: Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari Al-Qalqshandi and then Al-Qahiri (died: ٨٢١ AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut

_٣٣Alert the narrators to the attention of the grammarians: Jamal Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Yusuf Al-Qafti (died: ٦٤٦ AH), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim: Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo, and the Cultural Books Foundation - Beirut, Edition: First, ١٤٠٦ AH - ١٩٨٢ AD.

_٣٤ Adequate Grammar: Abbas Hassan (deceased: ١٣٩٨ AH): House of Knowledge: Fifteenth Edition

_٣٥ Explanation on the doctrines of the Basri and Kufic grammarians: Abu Al-Baqa Abdullah bin Al-Hussein bin Abdullah Al-Akbari Al-Baghdadi Muhib Al-Din (died: ٦١٦ AH): Investigator: Dr. Abd al-Rahman al-Uthaymeen: Dar al-Gharb al-Islami, first edition, ١٤٠٦ AH - ١٩٨٦ AD